14

أَثَرُ الغناءِ في النّفْسِ

تمهيد: مُنذُ أَقْدَمِ العُصُورِ انْتَبَهَ الإنْسَانُ إلَى الآثَارِ المُخْتَلِفَةِ وَالمُتَفَاوِتَةِ للْغنَاءِ وَالمُوسِيقَى فِي أَفْرَاحِهِ وَأَتْرَاحِهِ، فِي رَاحَتِهِ وَتَعَبِهِ... وَاسْتَغَلّ ذلك الأَثَرَ فِي حَيَاتِهِ العَامّةِ وتَدْرِيبِ حَيَوَانَاتِهِ وَتَرْوِيضِهَا، وعِلاَجِ بَعْضِ الأَمْرَاضِ النّفْسِيّةِ، بَلْ إنّ بعضَ الاخْتِصَاصِيّين تجاوزَ ذلك إلى مُحَاوَلَةِ اسْتِغْلاَلِ هذا الأثَرِ في تهْذِيبِ أَذْوَاقِ الأجنّةِ قَبْلَ ولاَدَتِهِمْ والبَعْضُ الآخَرُ بَدَا مُقْتَنِعًا بِعَظِيمِ أَثَرِهِمَا فِي عَمَلِيّةِ نُمُوّ النّبَاتَاتِ...

1 زَعَمَ أَهْلُ الطّبّ أنّ الصّوْتَ الحَسَنَ يَجْرِي في الجسْمِ مَجْرى الدّمِ في العُروقِ، فَيَصْفُو لَهُ الدّمُ، وتَنْمُو لَهُ النّفْسُ، ويَرْتَاحُ له القَلْبُ، وتَهْتزّ له الجَوَارِحُ، وتَخِفّ لَهُ الحَرَكَاتُ. ولِهَذَا كَرِهُوا للطّفْلِ أنْ يَنَامَ على إثْرِ البكَاءِ حَتّى يَرْقُصَ وَيَطْرَبَ.

وزَعَمَتِ الفلاسِفَةُ أنّ النّغَمَ فَضْلٌ بقيَ مِنَ النّطْقِ لَمْ يَقْدِرِ اللّسَانُ على

5 استخراجه فاسْتَخْرَجَتْهُ الطّبِيعَةُ بِالأَلْحَانِ، على التّرْجِيعِ لا على التّقْطِيعِ، فَلمّا ظَهَرَ عَشِقَتْهُ النّفْسُ وحَنّتْ إلَيْهِ الرّوحُ.

أَلاَ تَرَى إلى أَهْلِ الصّنَاعَاتِ كُلّهَا إذَا خَافُوا المَلاَلَةَ والفُتُورَ على أَبْدَانِهِمْ تَرَنّمُوا بالأَلْحَانِ، واسْتَرَاحَتْ إلَيْهَا أَنْفُسُهُمْ. ولَيْسَ مَنْ أَحَبّ - كائنًا مَنْ كَانَ- إلاّ وهو يَطْرَبُ مِنْ صَوْتِ نَفْسِهِ، ويُعْجِبُهُ طَنِينُ رَأْسِهِ. ولَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضْلِ الصّوْتِ

10 الحَسَنِ إلاّ أنّهُ لَيْسَ في الأَرْضِ لَذّةٌ تُكْتَسَبُ مِنْ مَأْكَلٍ، ولاَ مَشْرَبٍ، ولاَ مَلْبَسٍ، ولاَ صَيْدٍ، إلاّ فِيهَا مُعَايَاةٌ على البَدَنِ وتَعَبٌ على الجَوَارِحِ، ما خَلاَ السّماعَ؛ فإنّهُ لا مُعَايَاةَ فِيهِ على البَدَنِ، ولاَ تَعَبَ على الجَوَارِحِ.

وقَدْ يُتَوَصّلُ بالأَلْحَانِ الحِسَانِ إلى خَيْرَيِ الدّنيَا والآخِرَةِ. فَمِنْ ذَلِكَ أنّهَا تَبْعَثُ على مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ: مِنْ اصْطِنَاعِ المَعْرُوفِ، وصِلَةِ الأَرْحَامِ، والذّبِّ عن الأَعْرَاضِ،

15 والتّجَاوُزِ عن الذّنُوبِ. وقَدْ يَبْكِي الرّجُلُ على خَطِيئَتِهِ، ويَتَذَكّرُ نَعِيمَ المَلَكُوتِ، ويُمَثّلُهُ في ضَمِيرِهِ...

ورُبّمَا يُغْشَى على سَامِعِ الصّوْتِ الحَسَنِ للطّافَةِ وُصُولِهِ إلى الدّمَاغِ، ومُمَازَجَتِهِ القَلْبَ. ألا تَرَى إلى الأمّ كَيْفَ تُنَاغِي وَلَدَهَا، فَيُقْبِلُ بِسَمْعِهِ على مُنَاغَاتِهَا، ويَتَلَهّى عَنِ البُكَاءِ.

شهاب الدّين الأبشيهي، المستطرف في كلّ فنّ مستطرف، منشورات دار مكتبة الهلال، 1986، ج. 2 ص 146

التّرجيع: التّرديد

فيها ***معاياة*** على البدن: لا تناسب البدن.

الذّبّ: الدّفاع.

تعريفات

الأعــلام

المؤلّف: شهاب الدّين الأبشيهي- (790 هـ / 1388 م - 850 هـ / 1446 م) الأبشيهي نسبة إلى قرية أبْشُويه من قرى محافظة الغربيّة بمصر. هو كاتب، شاعر، جالس علماء عصره وأئمّتهم ونقل عنهم. أشهر مؤلّفاته «المستطرف في كلّ فنّ مستظرف»

الفهم والتّحليل

1 - قسّم النّصّ تقسيما يبرز مختلف المواقف من حاجة النّفس إلى الغناء وأثره فيها.

2 - نوّعَ الكاتب الحُجج حتّى يتوصّل إلى إثبات أثر الغناء في النّفس، اســتخرجْ هذه الحجج وبوّبْها.

3 - لا يتوقّف تأثير الغناء عند الأبشــيهي على بعض الشّــرائح العمُريّة أو الفئات المهنيّة، ابحثْ عمّا يؤيّد ذلك في النّصّ.

4 - ما الّذي يميّز لذّة السّماع عمّا ينتج من ملذّات عن باقي الحواسّ؟

التّفكير وإبداء الرّأي

قد تتجاوز الموســيقى وظيفة الإطراب إلى العلاج النّفسيّ، توسّعْ في هذه الفكرة وأبد رأيك فيها.

إنتاج كتابيّ

حرّرْ فقرة من خمسة عشر سطرا تبيّن فيها ما للغناء والموسيقى من دور في التّقريب بين الشّعوب.

نافذة لغويّـة

التّفصيلُ باستعمال «مِـنْ»

1 - وقَدْ يُتَوَصّلُ بالألْحَانِ الحِسَــانِ إلى خيْــرَيِ الدّنيا والآخرة. فمِنْ ذلك أَنّهَا تَبْعَثُ عَلَــى مَكَارِمِ الأَخْــلاَقِ: مِنْ اصْطِنَاعِ المعْــرُوفِ، وصِلَةِ الأَرْحَامِ والــذّبّ عن الأعْرَاضِ، والتّجَاوُزِ عنِ الذّنُوبِ.

مِنْ: تدلّ في الجملة السّابقة على الجزء مِنَ الكلّ (التّبعيض).

1 - خَيْــرَيِ الدّنْيَــا والآخِرَةِ: تركيب فيه إجمال، ومِنْ تقــدّم التّفصيل الأوّل: وهو أنّ خــير الدّنيا وخــير الآخرة يتمثّلان على وجه التّحديد في مــكارم الأخلاق، وتكرار حرف

«الوَاوِ» يمكّن الكاتب من تجميع التّفاصيل الّتي تمكّن بالألحان الحسان من التّوصّل إلى خـيري الدّنيا والآخرة، وهي على التّوالي: 1 - صلة الأرحام، 2 - الذّبّ عن الأعراض، 3 - التّجاوز عن الذّنوب.

«الـوَاوُ» تعطف ما بعدها على المجرور بـ«مِـنْ»، فهي وسـيلة لتكرار «مِـنْ» في المعنى دون تكرارها في اللّفظ.

2 - مـكارم الأخلاق: تركيب فيه إجمال، والـوَاوَات الثّلاثة الواردة بعد (من اصطناع المعـروف) (مِنْ الدّالّة على التّبعيض أي الجزء من الـكلّ) حروف تتصدّر تراكيب تقدّم بقيّة الأجزاء الّتي يعتقد المفسّـر أنّها كافية لتوضيح المعنى المقصود. إذن مِنْ إذا ارتبطت بالعطـف تقـدّم التّفاصيل. ووظيفة التّفصيـل في النّصّ التّفسـيريّ تتمثّل في الخروج مـن الإجمال للوقـوف عند الجزئيّات بحثا عن الدّقائق الّتي من شـأنها أن تسـاعد المخاطِـب على الإقناع والمخاطَب أو المتلقّي على الفهم والإحاطة بما لم يكن يعرفه قبل التّفسِيرِ.

←وَ«مِـنْ» تفيد التبعيض وتكرارها تكرار للتّبعيض ينشأ عنه التفصيل.

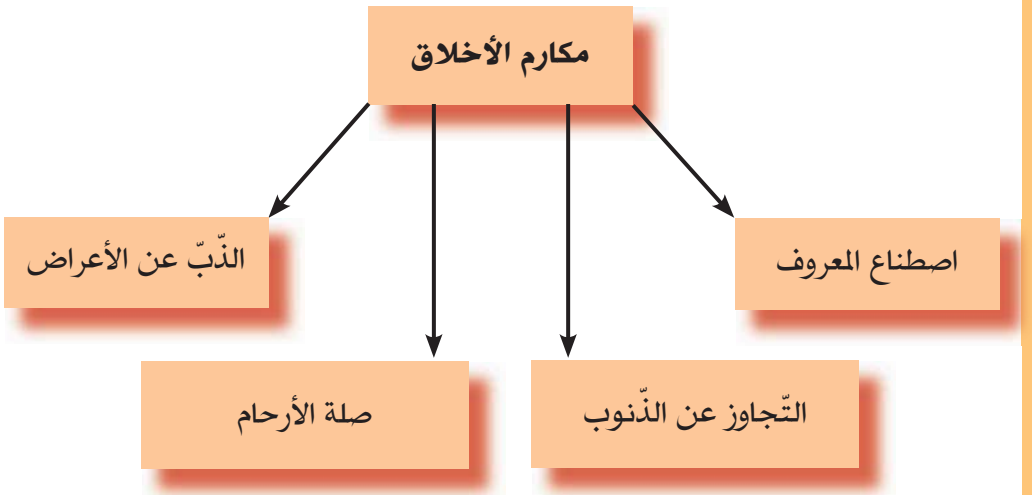

- «سيتقدّم إلى امتحان البكالوريا ما يفوق المائة ألف مترشّح». و«تنقسم الشّعب إلى ستّ هي: الآداب، الرّياضيّات، الاقتصاد والتّصرّف، العلوم التّجريبيّة، العلوم التّقنية، علوم الإعلاميّة».

أعدْ هذا القول باستعمال [مِنْ] التّبعيضيّة، التّفصيليّة.

إغناء

1 يحكى أنّ جماعة كانت، من أهل هذه الصّناعة، مجتمعة في دعوة رجل رئيس كبير، فرتّب مراتبهم في مجلسه بحسب حذقهم في صناعتهم، إذ دخل عليهم إنسان رثّ الحال، عليه ثياب رثّة، فرفعه صاحب المجلس عليهم كلّهم، وتبيّن إنكار ذلك في وجوههم، فأراد أن يبيّن فضله، ويسكّن عنهم غضبهم، فسأله أن يسمعهم شيئا من صناعته، فأخرج الرّجل خشبات كانت معه فركّبها، ومدّ عليها أوتاره وحرّكها تحريكا، فأضحك كلّ من كان في المجلس من اللّذّة والفرح والسّرور الّذي حلّ داخل نفوسهم، ثمّ قلبها وحرّكها تحريكا آخر فأبكاهم كلّهم من رقّة النّغمة وحزن القلوب، ثمّ قلبها وحرّكها تحريكا نوّمهم كلّهم، وقام وخرج، فلم يعرف له خبر.

رسائل إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء دار صادر بيروت، 1957، المجلّد الأوّل، ص 185

2 وقد ورد في بعض المصادر الأخرى (وفايات الأعيان لابن خلّكان) أنّ الرّجل هو الفارابي وأنّ السّيّد هو سيف الدّولة الحمداني وأنّ الآلة هي القانون.

3 أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ، إجازة، قال: "حدّثني أحمد بن أبي العلاء قال: "حدّثني أبي قال: "حجّ رجل مع مخارق، فلمّا قضيا الحجّ وعادا، قال له الرّجل في بعض طريقه: "بحقّي عليك غنّني صوتا. فغنّاه [الطّويل]:

رحلنا فشرّقنا وراحوا فغرّبوا * * * ففاضت لروعات الفراق عيون

فرفع الرّجل يده إلى السّماء وقال: اللّهمّ إنّي أشهدك أنّي قد وهبت حجّي له.

أبو الفرج الإصبهانيّ، الأغاني، مؤسّسة عزّ الدّين للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ج.21، ص. 159.

الاستثناءُ والحصـرُ

منطلقات

[1] لَيْسَ عِنْدَهمْ إلاّ الإقْدَامُ على التّصْديقِ المجرّدِ. [الجاحظ]

لَيْسَ عِنْدَهمْ إلاّ الإقْدامُ على التّكذيبِ المجرّدِ.

أداة نفي — أداة حصر — محصور

وردت هـذه الجملـة منفيّة في أوّل الـكلام وأثبت ما ورد بعـد «إلاّ»، فقد حصر الجاحظ ما عند المباشرين للخبر في التّصديق أو التّكذيب.

[2] كُلّ المصَائِب تَهُونُ غَيْرَ شَماتَة الأعْدَاءِ.

[تعميمٌ] — مستثنى منه / أداة استثناء / مستثنى [تخْصيص]

وردت الجملة الثّانية على بنية التّعميم والتّخصيص بالاسـتثناء، فالمسـتثنى منه مثبت أي إنّ المصائب بصيغة الجمع تهون.

أمّا المسـتثنى «شـماتة الأعداء» فدخلت في حكم الطّرح [إلاّ/(-)] ويشترط أن يكون المستثنى منه والمستثنى من نفس الجنس.

تطبيقات

لاحظ الفرق بين التّركيبيْن الآتييْن:

[3] لَمْ يَبْقَ مِنَ الْمُتَعجِّبِ الْفَاتِكِ إلاَّ نَصِيبُ اللِّسَانِ (الجاحظ)

[4] جَاءَ الْجَمَاعَةُ إلاّ زَيْدًا وَعَمْرًا.

- الحصر في الجملة الثّالثة اختصار لتركيب منفيّ وآخر مثبت، والمحصور «نصيب اللّسان».

- الاستثناء في المثال الرّابع هو اختصار لجملتيْن إحداهما معمّمة «جاءَ الجمَاعَةُ» والثّانية منفيّة مخصّصة « زيدًا وعَمْرًا».

كأن نقول: «جاءَ كُلّ الجَمَاعَةِ وَلَـمْ يجئ زيدٌ وعَمْرو».

← وهكذا يخدم هذان التركيبان الفكرة المدافع عنها بالتّعميم تارة وبالتّخصيص تارة أخرى.

استنتاجات

- الاسْــتِثْنَاءُ: هو اختصار لجملتيْن إحداهما مثبتــة [معمّمة] والثّانية منفيّة [مخصّصة]:

كُلّ المصَائبِ تَهونُ غَيْرَ شَماتَةِ الأعْداءِ. | المصَائب تَهونُ: إثبات
لا تَهونُ شَماتَةُ الأعْداءِ: نفي

- الحَصْرُ: هو اختصار لبنية تخصيصيّة «مَـا... إلاّ...»

مَـا (ليْسَ، لاَ...): ⟵ نفْيٌ + إلاّ (سِوى، خَلاَ...): ⟵ إثْباتٌ بالحصر

أدوات الاسْتثناء من الرّوابط: منها الحروف: إلاّ... ومنها الأسماء: سِوَى / غير،.. ومنها الأفعال: خَلا / عَدَا...

تدريبات

(1) ميّز الاستثناء من الحصر في الجمل التّالية وعلّلْ ذلك:

- لَيْسَ في الأرْضِ نَمِرَةٌ إلاّ وهْيَ تَضَعُ وَلَدَها وفي عُنُقِهِ أفْعَى فِي مَكانِ الطّوْقِ. [الجاحظ]
- مَا قَامَ منْ مجْلِسِهِ إلاّ بعْدَ الذّلّ والقَماءَةِ. [التّوحيدي]
- إنّ فِكْرَ الشّعوب لمْ يَتطوّرْ إلاّ بالتّرْجَمةِ. [منجي الشّملي]
- ولِذلــكَ تَعوّدْتُ أنْ أسْــمعَ للفَرنْســيّينَ في مصْرَ إلاّ بِنِصْفِ أُذني. [طه حســين]
- قالَ المأمون: المُلوكُ تحتمِلُ كلّ شيءٍ إلاّ ثلاثًا: إفْشاء السّرّ والقدح في المِلكِ والتّعرّض للحُرُمات. [إبراهيم الحصري]

(2) ركّبْ جملاً منوّعًا أدوات الاستثناء:

- التّلاميذُ / الجادّ: .....
- الحيّ/منْزِل به: .....
- السّيّاراتُ/سيّارتي: .....
- الفِرَقُ الرّياضيّةُ/فريق رياضيّ: .....